



محمد السالمي

مقارنة دراسة الدين في المجتمعات الإسلامية

تشير الدراسات الحديثة للمجتمعات الإسلامية إلى أهمية إحلال التسامح والتفاهم والاعتراف بالتعددية الثقافية، باعتبارها الأساس لإقامة مجتمع مدني يتسم بالاستقرار والديمومة. هنا يأتي برانون ويلر في مقالته بعنوان «الدين المقارن وأصول المجتمع المدني»، حيث إنه يبين أهمية هذه الأسس، وأكد أيضاً أن ما لم يجز الاهتمام به حتى الآن هي دراسات الدين المقارن، حيث إن هذه الدراسات لها دور فعال في تدعيم الحوار بين الأديان والثقافات المختلفة. وتستطيع الحضارة الإسلامية أن تتطلع إلى التقاليد العلمية في العالم للدراسات المقارنة والدراسات ذات المناهج المشتركة والمتلاقية؛ في العلاقات بين الأديان.

والرحالة تفصيل الأماكن التي قاموا بزيارتها وذكر عاداتهم وتقاليدهم وممارساتهم الدينية وغيرها.

مراكز الدين المقارن: منذ السبعينات من القرن العشرين تأسست في معظم البلدان العربية بعض المجلات والمراكز التي تعنى بدراسة العلاقات الإسلامية مع غيرها. وكان أغلب تلك المراكز تركز على الحوار الإسلامي المسيحي مثل الزيارات المتبادلة بين الفاتيكان والأزهر، ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، وغيرها. بيد أن أغلب هذه المراكز انصب اهتمامها على الأمور السياسية، أكثر من اهتمامها بالدراسة الأكاديمية للدين. ولكن في السنوات الأخيرة، ونظراً لزيادة التخصص من جانب بعض الباحثين والدارسين، ظهر عدد من المؤسسات والمراكز المعنية بدراسة الدين المقارن، وأبرز تلك النماذج المعهد الملكي للدراسات بعمان بالأردن وغيرها من المراكز.

يتركز الاهتمام بالمنطقة حتى الآن على دراسة الجغرافيا التاريخية والعقدية في الأديان والعلاقات فيما بينها. ولذلك فليس هناك اهتمام واسع بالجوانب الثقافية والحضارية التي تشكل السياقات والمجالات المتوسعة لكل دين. وبذلك تنفصل دراسة الدين عن التراث والثقافة. وقد كان الرحالة والمؤرخون وعلماء الملل والنحل في الحقبة الكلاسيكية أكثر توسعاً في قراءة الأديان ومحيطاتها وسياقاتها. وهذا دليل على عالمية الحضارة الإسلامية، والقوة المشهودة للانتماء الإسلامي، والتعددية الدينية للمجتمعات الإسلامية؛ كل ذلك أدى إلى نظرة أكثر اعتدالاً وتوازناً للدين قبل ظهور التحدي الاستعماري الأوروبي.

وغيرها. يعتقد الشهرستاني أن كل الديانات تتضمن شيئاً من الحقيقة، لأن كل منها بين الموحى (الصحيح) وغير الموحى، وكلها صادرة مباشرة أو بشكل غير مباشر عن الله. التاريخ: غالباً ما يسجل المؤرخون أخباراً عن تاريخ الديانات الأخرى، فالطبري على سبيل المثال، قد أورد في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" روايات كثيرة من مصادر إسلامية وغير إسلامية عن عقائد الإيرانيين القدامى وممارساتهم، وهذا أيضاً تكرر مع مؤرخين آخرين من أمثال أحمد المقريزي (١٣٦٤-١٤٤٢م).

قصص الأنبياء: على القدر نفسه من المرويات الأسطورية لها علاقة بقصص الأنبياء في تفاسير القرآن وكتب التاريخ، فقصص الأنبياء تعد أبغ الأدلة على التداخل بين الديانات الإبراهيمية، ويعد ابن كثير أبرز العلماء في هذا الجانب، حيث قام بأخذ اقتباسات من العديدين القديم والجديد، وشرح المسلمين واليهود في تلك الفقرات، ثم قام بإجراء المقارنات من ناحية المضمون والشكل وبين السوريات، ومثيلاتها الموجودة في القرآن وتفسيره، وهذا يدل على أن هناك تقدماً نوعياً لدى العلماء المسلمين في ما يتعلق بنقد المصادر التي يمكن اعتبارها أحد الأمثلة المبكرة للسرديات المقارنة.

الرحلة والجغرافيا: تركز معظم كتب "الملل والنحل" والكتابات التاريخية، على المصادر الأدبية، ومسائل العقائد. وهناك متابعة وصفية للممارسات، تستند إلى مراقبة إثنوغرافية، تحضر في كتب الرحلات التي أنتجها عرب ومسلمون منذ الحقبة الكلاسيكية وحتى القرن التاسع عشر. وابن بطوطة أحد أشهر أولئك الرحالة. وقد بدأ سفره من طنجة ثم جاب الكثير من المدن في العالم القديم. ومن الرحالة أيضاً: ابن جبر، وياقوت الحموي، وابن الفقيه، والبكري وغيرهم. وقد استطاع

في العالمين العربي والإسلامي بنموذج الملل والنحل الموروثة من العصور الكلاسيكية. وقد كان يعتقد أن هذه الدراسات تخضع لعوامل التوجهات العقيدية والدعوية، ولكن الكاتب يؤكد أن هذه الأعمال ترفع من شأن السياق التاريخي، فكتابات "الملل والنحل" يقدم رؤية واسعة للعقائد المنسوبة لحركات تاريخية أو معاصرة، وعادة ما يقوم المؤلفون بتقسيم تلك البحوث تحت عناوين معينة مثل: العقيدة الإسلامية والفرق، والعقائد الإسلامية وفرق أهل الكتاب، أو الديانات السماوية، وأديان وفلسفات أخرى. وقد أتى الكاتب بنموذجين لكبار كتاب هذا الصنف:

ابن حزم: هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، والذي كان كاتباً مشهوراً، خصص دراساته للتمائل في عقائد غير المسلمين، وعلاقتها بالعقائد الإسلامية. ففي المسيحية مثلاً، بعد أن تحدث عن التاريخ والعقائد، عقد فصلاً لطبيعة المسيح في اعتقاد الفرق المسيحية، وكذلك فعل مع اليهود والمزراشيين، حيث يبحث ابن حزم في عقائد البراهمة والفلاسفة الوثنية، ومجموعة من الديانات والشيع الأخرى، كما يعقد فصلاً يذكر ما هو معروف عن بعض أنبياء العهد القديم، وهالة القداسة المحيطة بهم. كما له كتب تقارن قصص الأنبياء في القرآن والتقاليد الإسلامية، ومما ورد عنهم في التوراة والإنجيل. وقدم الكثير من المقارنات والتي لا تزال آثارها باقية إلى وقتنا الحاضر.

الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. قام بتأليف أشهر الكتب في "الملل والنحل" عن سائر ديانات العالم، التي قام بتقسيمها إلى قسمين كبيرين: الديانات المستندة إلى الوحي مثل المسلمين وأهل الكتاب، والديانات غير المستندة إلى الوحي والتي تتضمن أهل حزان واليونانيين، والفلاسفة العرب، وديانات العرب قبل الإسلام والهندوسية

وفي أمور أخرى. وهكذا يمكن للدراسات الأكاديمية المعاصرة في الشرق الأوسط وآسيا أن تبني مؤسسات علمية للمقارنة غنية بالتقاليد، وقائمة على تحليل التاريخ والعقائد والممارسات لدى جماعات الدين المختلفة، من المسلمين وغيرهم، وأيضاً لا بد من الاعتراف بأن هذا النوع من الدراسات ما يزال قليلاً في الشرق الأوسط وآسيا أو لا ترتقي إلى المستوى المطلوب. بل وإن لهذا النوع من التخصصات أو الدراسات ضرورة لتطوير المجتمع المدني، وإبراز المؤسسات الاجتماعية لتكون واسعة الأفق والأهداف، ولهذا ينبغي علينا أن نعطي عناية أكبر للتقاليد المحلية العارفة والمتسامحة، ومدى استمراريتها في المؤسسات المعاصرة، اعترافاً بدور الماضي وإمكان إفادتها في مجال إقامة وتطوير مجتمعات وتقاليد استيعابية معاصرة. تحت عنوان "دراسة الدين في المجتمعات الإسلامية الكلاسيكية"، يؤكد الكاتب أن الدراسات النظرية المعاصرة في معلوماتها ومراجعها عن الدين، ودوره في المجتمعات الداخلية في الحضارة الإسلامية وغيرها، أنها تستند إلى تقليد كلاسيكي نشأ في العصر العباسي في القرن العاشر الميلادي، فقد قام العلماء بإنتاج كتب ودراسات عن الدين في ذلك العصر حتى صارت مراجع ومصادر لمن أتى بعدهم في القرون التالية. ومن النماذج الكلاسيكية التي أسهمت في دراسة الدين المقارن: أبو ریحان البيروني: حيث ألف البيروني كتاب «الآثار الباقية من القرون الخالية» والذي يتحدث عن حضارات ما قبل الإسلام، كما أنه كتب موسوعة عن الثقافات وديانات جنوب آسيا، ويلاحظ أن دراسات البيروني تجمع بين الأنتوغرافيا والقراءات النصية، والتي يستعملها في تفسير المعتقدات الدينية والممارسات التعبدية في جنوب آسيا. الملل والنحل: تتأثر كثير من دراسات الدين

m.a.s.alsalmi@gmail.com

النصوص المشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف: ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢، فاكس: ٩٦٨ ٢٤٦٠٥٧٩٩،

البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahom@gmail.com - tasamoh@gmail.com